(٣٣) ونؤمن باللوح والقلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: ثم قال (وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ، فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ؛ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَهُ غَيْرُ كائِن لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ) هذه جمل نيرات.

قوله: (وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ) اللوح والقلم كلاهما وردا في النصوص. أما اللوح، فقد قال الله عز وجل: {فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ } [البروج: ٢٢] وجاء حديث حسّنه بعض أهل العلم وفيه ضعف: ((إن الله تعالى خلق لوحاً من ذرة بيضاء وكتب فيه بقلم من ياقوتة حمراء....)) إلى غير ذلك تفاصيل، لكن الحديث فيه ضعف، فيه ذكر اللوح ويغني عن ذلك قول الله عز وجل: {فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ } [البروج: ٢٢].

والقلم قد جاء ذكره في حديث عبادة ابن الصامت السابق: ((أول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال ما اكتب؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة)) فاللوح والقلم لاشك في ثبوتهما. **واعلموا أن الأقلام أربعة، الأقلام أربعة:**

- **القلم الأول**: هو المذكور مع اللوح، يعني الذي كتب الله تعالى فيه مقادير الخلائق، وهو ليس أول ما خلق مطلقاً. لكن لما خلقه الله عز وجل؛ لأن أول منصوبة على الظرفية. أول ما خلق الله القلم، يعني ساعة خلق الله القلم قال له اكتب. فهذا هو القلم الأول، وهو أفضلها وأجلها وأشملها للمقادير الذي رقم في اللوح المحفوظ، هذا القلم الأول.
- **القلم الثاني**: قلم عام لبني آدم بعد خلق أبيهم. يعني بمعنى أن القلم الأول كتب الله فيه عموم المقادير، ما يتعلق ببني آدم، وما يتعلق بسائر الكائنات. فيه قلم آخر كتب الله عز وجل به مقادير بني آدم، ولا تعارض بين ما رُقم في القلم الأول، وبين ما رُقم في القلم الثاني.
- **القلم الثالث**: قلم الجنين، الذي يرسل إليه الملك فيأمر بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.
- **والقلم الرابع** هو قلم التكليف الذي في الحديث: ((رفع القلم عن ثلاث)) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم: ((الصغير حتى يبلغ)) فإذا بلغ الإنسان مبلغ التكليف بالبلوغ، وبالعقل، وبارتفاع الجنون وما شابه، وبزوال النوم، فهذا اسمه قلم التكليف.

هل بين هذه الأقلام تعارض؟ لا، ولهذا تقدير الله عز وجل يدخل بعضه في بعض. أنواع التقدير كثيرة:

- **التقدير العام وهو الذي في اللوح المحفوظ.**
- **التقدير العمري وهو الذي يكون للجنين في بطن أمه.**
- **التقدير الحولي السنوي الذي يجريه الله عز وجل ليلة القدر** { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان: ٣، ٤].
- **التقدير الرابع: هو التقدير اليومي** {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } [الرحمن: ٢٩].

فهذه التقادير، لا يعارض بعضها بعضاً؛ وإنما تُستنزل تفاصيل المقادير مما هو مرقوم في اللوح المحفوظ، فهي بمنزلة التفصيل والاستنزال لما هو في اللوح المحفوظ.

فيقول: (**فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ كَائِنٌ؛ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيه أَنَهُ غَيْرُ كَائِن؛ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**) دلّ على هذه الجمل حديث سراقة وحديث ابن عباس.

أما حديث سراقة، فإنه سراقة ابن مالك ابن جعشم فإنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو على المروة قال: ((يا رسول الله بين لنا ديننا كأنما خلقنا الآن فيما العمل أفيما نستقبل أم فيما جفت به الأقلام وطويت به الصحف؟)) قال: ((بل فيما جفت به الأقلام وطويت به الصحف)) انتهى، هذا حديث سراقة.

حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)) انتهى قد فرغ الله من العباد، قد قدر الله جميع المقادير. لا يمكن لأحد أن يغير قدر الله عز وجل ((رفعت الأقلام وجفت الصحف)).

فإن قال قائل: طيب، ألم يرد في حديث المعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع صريف الأقلام؟ كيف والأقلام قد رُفعت؟ قال هذه الأقلام أقلام في مجريات الأمور الحاضرة، لا القلم الأول، ليس هذا هو القلم الأول الذي رُفع وجفت الصحف به؛ بل ما يجريه الله سبحانه وتعالى ويقدره في كل حال. فإن الأقلام تجري به أخذاً مما كُتب بالقلم الأول، وجفت به الصحف.

قال: (**وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ**) جاء ذلك في كلام عبادة ابن

الصامت، حينما حدث بحديث القدر ووعظ ابنه وقال: "يا بني إنك لن تبلغ الإيمان ولن تذوق حلاوته حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك".

ثم قال الشيخ رحمه الله: (وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلا مُعَقِّبٌ، وَلا مُزِيلٌ وَلا مُغَيِّرٌ ولا مُحَوِّلٌ، وَلا نَاقِصٌ وَلا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ) هذا من جملة ما يجب أن يعتقده العبد، وهو تأكيد لما مرّ من إثبات علم الله عز وجل بالكائنات علماً سابقاً لخلقها، وأن هذا العلم لا يزاد فيه ولا ينقص. وقد أكد الشيخ هذا بهذه الجمل المتعاقبة المثبتة لسبق علم الله بالأشياء وتقديره لها.

قال: (**فَقَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ**) في كل كائن أياً كان ذلك الكائن. سواءً من أفعال العباد أو من غير أفعال العباد.

(**فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا**) والإحكام هو الإتقان، مأخوذ من حَكَمَت الدابة أو حَكَمَت الفرس.

(**مُبْرَمًا**) أي أنه موثق مشدّد كما يبرم الحبل.

(**لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ وَلا مُعَقِّبٌ**) أي أن هذا الإبرام لا ينقضه شيء.

(**وَلا مُعَقِّبٌ**) تقدم معنا أن التعقيب معناه التأخير. فلا يؤخره شيء عن حله وحينه.

(**وَلا مُزِيلٌ**) لا يزيله عن موضعه لا زماناً ولا مكاناً.

(**وَلا مُغَيِّرٌ ولا مُحَوِّلٌ، وَلا نَاقِصٌ وَلا زَائِدٌ**) كل هذه الجمل المراد منها إثبات القدر، وأنه لا يغيره شيء من الأشياء.

قال: (**مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الإِيمَانِ، وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ، وَالاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِهِ**) وهذا بيّن، فإن من الاعتراف بربوبية الله عز وجل الاعتراف بخلقه؛ لأن الخلق عليه مدار الربوبية. فقد تقدم معنا في الدروس الأولى أن الربوبية تدور على ثلاثة أمور: الخلق، والملك، والتدبير. فلهذا كان صلة الإيمان بالقدر بمسألة الربوبية.

قال: (**وَالاعْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: ٢]**) فقوله: **{كُلَّ شَيْءٍ}** متناول لجميع الأشياء، لا يخرج شيء من مفرداتها.

وقال تعالى: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} [الأحزاب: ٣٨] فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا، وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفَّاكًا أَثِيمًا).

هذا تحذير من تكذيب القدر، وأن المعترض على القدر الشاك في تقدير الله للأشياء، قد خاض في البحر الخضم الذي لا ينجو منه سالك.

(**فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الْقَدَرِ خَصِيمًا**) أي ينازع الله في قدره. أنى له ذلك والله تعالى هو مقدر المقادير.

(**وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيهِ قَلْبًا سَقِيمًا**) أي أنه لا يحسن الظن بمولاه فيما قدّره وقضاه.

(**فَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا**) الغيب كما تقدم معنا سر مكتوم، والشرع كتاب مفتوح. فمن حاول وتشوف أن يستكنه الغيب، فقد حاول سراً كتيماً، وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً؛ لأنه كما قال الله عز وجل عن المشركين الذين بنوا ردهم للشرع على دعوى الإيمان بالقدر قال: **{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ } [يونس: ٦٦]** والأفاك هو الكذاب.

إذن يجب الإيمان بالقدر، وعدم الاعتراض عليه. وهنا يشكل عند بعض الناس الحديث الذي رواه الإمام البخاري وغيره من حديث احتجاج آدم على موسى وأن موسى عليه السلام لقي آدم وقال: ((**أنت آدم أخرجتنا من الجنة وذريتك**)) قال له آدم عليه السلام: ((**أنت موسى الذي كتب الله لك التوراة بيده أتلومني على أمر قد كتبه الله علي قبل أن يخلق السموات والأرض؟**)) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**فحج آدم موسى**)) يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم كأنما حكم بين آدم وموسى، وأثبت غلبة حجة آدم على حجة موسى.

فموسى عليه السلام قال: ((**أنت آدم خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته كيف أخرجتنا وذريتك من الجنة؟ فما كان من آدم عليه السلام إلا أن قال:** (**أنت موسى كتب الله لك التوراة بيده أتلومني على شيء قد كتبه الله على أمر قد كتبه الله علي قبل أن يخلق السموات والأرض؟**)).

فظن بعض الناس أن هذا من الاحتجاج بالقدر، وأن آدم عليه السلام قد احتج بالقدر، وأن نبينا صلى الله عليه وسلم صوّب آدم عليه السلام وجعل حجته حجة غالبة، لكونه احتج بالقدر، والأمر ليس كذلك. فإن آدم عليه السلام لم يحتج بالقدر في هذا الكلام على الذنب؛ **وإنما احتج بالقدر على المصيبة، احتج بالقدر على المصيبة.**

وبيان ذلك أن مقالة آدم عليه السلام هي من باب الاحتجاج بالقدر عند المصائب لا عند المعائب، عند المصائب لا عند المعائب. فيجوز أن يحتج الإنسان بالقدر عند المصائب لا عند المعائب. كيف ذلك؟ لو أن امرءً

عصى الله سبحانه وتعالى وارتكب جرماً، شرب الخمر أو زنى، هذا العمل لاشك أنه عيب ومعصية وذنب، لا يجوز أن يحتج عليه بقدر الله ويقول: أمر كتبه الله وقدره، فأنا أسير وفق قدر الله عز وجل.

لا يحل أن يحتج بالقدر على المعصية. لكن لو قدرنا أنه جرى منه ذلك وندم واستعتب، وجاءه من يلومه ويؤنبه، فقال له: **يا رجل هذا أمر قد قضاه الله وكتبه وقدره، فهو الآن لا يحتج بالقدر لتسويغ المعصية؛ وإنما لتفسير ما جرى من جهة كونه مصيبة وقعت عليه. إذن يجوز الاحتجاج بالقدر عند المصائب لا عند المعائب**. وهذا هو الذي وقع من آدم عليه السلام، أن احتج بقدر الله عز وجل لبيان أن هذا مصيبة وقعت عليه.

فإذا احتج إنسان بقدر الله عز وجل بعد التوبة والندم، ساغ ذلك. **أما إذا احتج به ليسوغ عمله ويصحح ما بدر منه، فهذا لا يسلم، وهو الذي رده الله تعالى على المشركين** حين قالوا: {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ } [الأنعام: ١٤٨] قالوها على سبيل الاحتجاج بالقدر، متذرعين بها، رادين بها شرع الله عز وجل، فلذلك أكذبهم الله فقال: {كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا } [الأنعام: ١٤٨] وبيّن بطلان حجتهم{قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا } [الأنعام: ١٤٨] لأنهم أرادوا بذلك ضرب الشرع بالقدر.

أما إذا وقع هذا من الإنسان على سبيل الشكوى إلى الله عز وجل، والندم على وقوع الذنب. فإن هذا ليس فيه شيء، ولا يعد من الاعتراض على قدر الله عز وجل؛ لأنه لا ريب أن هذا الواقع وقع بقدر الله. فكأن هذا العاصي التائب يقول: هذا أمر قد قدره الله وقضاه وأنا نادم على ما جرى، فيكون احتجاجاً بالقدر على المصيبة لا على الذنب.

قال الشيخ رحمه الله: (فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ) هذه القطعة يُلحقها بعض من رتب الطحاوية بمسألة الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان لا تفنيان ولا تبيدان كما تقرر من قبل. لكن صلتها بباب القدر ألصق لقوله بعدها: **(فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلاً، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلاً مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَدْلاً مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ)** دلّ على ذلك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ } [التغابن: ٢] فالله سبحانه وتعالى قد خلق الخلق، وجعلهم صنفين: صنف من أهل السعادة { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى} [الأنبياء: ١٠١]وصنف من أهل الشقاوة.

فالله عز وجل قد علم ذلك منذ الأزل، وقسَم العباد. وقد جاء في الحديث الصحيح: **((إن الله تعالى قبض قبضة فقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وقبض قبضة فقال هؤلاء في النار ولا أبالي))** حتى كان سفيان رحمه الله يحدث بهذا الحديث ويبكي ويقول: (ليت شعري في أي القبضتين أنا؟).

فالله عز وجل قد فرغ من العباد، ولكن كما أسلفنا أن هذا علمك بهذا الأمر وبسبق تقدير الله عز وجل، ليس مدعاة للاتكال على القدر. فقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إلى جنازة رجل من الأنصار. فلما قعدوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة أو مقعده من النار، فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر فأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم تلا قول الله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وكذب بالحسنى(٨) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**)) ولهذا لا يسوغ ولا يتم الاحتجاج بالقدر على ترك العمل الواجب، وفعل العمل المحرم. وهذا أمر وأرجو أن تنتبهوا لهذا الملحظ. هذا أمر يعني يحتج به بعض المبطلين على معاصيهم، مع أنهم لا يحتجون به في أمورهم الدنيوية، **يعني يحتجون به في أمورهم الدينية، ولا يحتجون به في أمورهم الدنيوية.**

تجد أن أحدهم لأجل دنياه، يخرج في الصباح الباكر في شدة البرد، يضرب في الأرض، ويخرج في شدة القيظ بعد الظهر ويسعى في طلب الرزق. فلو قيل له يا فلان الأرزاق مقسومة اقعد في بيتك، فإن كان الله قد كتب لك رزقاً فسيأتيك. لا يقبل بهذا ويقول كلا لابد، لابد من المنافسة، لابد من البحث عن الرزق، **ولا يحتج بقدر الله على أموره الدنيوية. أما الأمور الدينية، فربما احتج بذلك.** فهذا ضرب من التناقض. تجد الإنسان من هؤلاء يستدفع البرد بلبس الملابس الثقيلة، ويستدفع المرض بتعاطي الأدوية وهكذا. فلو قيل له دع هذا، هذا أمر إن كان الله كتب عليك مرضاً فسيصيبك، إن كان الله كتب عليك برداً فسيصيبك حتى ولو اتقيت ذلك باللباس الثقيل. فإنه يأبى ويقول لا، لابد من فعل الأسباب.

إذن كما أنك تُعمل الأسباب في الأمور الدنيوية، فكذلك أعملها في الأمور الدينية. ويذكر أن أمير الؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع له سارق، فحكم بقطع بيده. فلما أدبر، نادى وقال: يا أمير المؤمنين إنما سرقت بقدر الله. يعني احتج بقدر الله على معصية الله ليستدفع شرع الله. لكن على من يحتج؟ على عمر رضي الله عنه أنى له ذلك؟ فقال له عمر: ونحن نقطع يدك بقدر الله؛ بل نقول أيضاً وبشرع الله.

ومما يذكر في هذا المقام أنه لما وقع طاعون عَمواس في بلاد الشام، استشار عمر الصحابة في نزول الشام. فكان من رأيه رضي الله عنه أن لا ينزل، وبلغ أبا عبيدة أن عمر رضي الله عنه امتنع عن دخول الشام، يعني دفعاً لأن يصاب هو وأصحابه بالطاعون. فكتب إليه قائلاً: يا أمير المؤمنين أتفر من قدر الله؟ فكتب إليه عمر فقال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، إنما نفر من قدر الله إلى قدر الله.

فلا يعد هذا من عدم الإيمان بالقدر؛ بل على الإنسان أن يسعى في دفع الشر عنه وجلب الخير إليه كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم: ((**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**)) ولن يقع إلا المقدور. لكن ليس معنى ذلك أن الإنسان يستسلم وينطرح؛ بل على الإنسان إذا أقبلت عليه المصيبة أن يسعى في دفعها وفي تخفيفها إن لم تندفع بكاملها ما استطاع، والقدر هو المحصلة النهائية. لا يقول: لا هذا من الاعتراض على القدر. كلا؛ لأنك ما تعلم ما القدر.

القدر هو ما يقع في النهاية، هو المحصلة النهائية. أما كونك تسعى في تخفيف المصيبة أو اجتثاثها، أو دفعها قدر ما استطعت، فهذا ليس منافٍ للقدر؛ بل هو من الإيمان بالقدر. كما قال عمر رضي الله عنه: نفر من قدر الله إلى قدر الله.

ثم قال الشيخ رحمه الله: (**وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ**) كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم: ((**وتؤمن بالقدر خيره شره**)). فالخير والشر كلاهما مقدر، لكن هما من حيث صدورهما من الله، كله خير. أرجو الانتباه! فرق بين القضاء والمقضي، والقدر والمقدور.

القضاء والقدر، كلاهما خير؛ لأن الله سبحانه تعالى لا ينسب إليه ولا يضاف إليه إلا الخير ((**لبيك وسعديك والخير بين يديك والشر ليس إليك**)) فالله عز وجل لا ينسب إليه الشر. فإذا قيل: طيب، أليس في جملة المقدورات شر؟ نقول: بلا، هو من حيث هو مقدور ينقسم إلى خير وشر، من حيث هو مقضي ينقسم إلى خير وشر. أما من حيث هو قدر وقضاء، كله من جهة الله خير. لما؟ لأن الله سبحانه وتعالى إذا أجرى بعض الأمور المستكرهة. مثلاً ربما يقول قائل: طيب حصول البراكين والزلازل والأوبئة والحروب في الأمور الكونية، وحصول المعاصي والفجور والكفر والفسوق والعصيان في الأمور الشرعية. أليست هذه شر؟

نقول بلى هي شر، هي من حيث هي شر. لكن من حيث تقدير الله عز وجل لها هي خير؛ لأن الله سبحانه وتعالى إذا قدر هذه الأشياء وقضاها؛ فإنما يقدرها ويقضيها لما يترتب عليها من المصالح العظيمة، التي لا يمكن أن تظهر إلا بوجودها.

يعني بعض الناس تجده يقول لماذا خلق الله الحيات والعقارب والخنافس، ووو.. وإلى ذلك لماذا وهي شر؟ لماذا خلق الله الحروب؟ ولماذا لا يسود السلام؟ ولماذا...إلخ. كل هذا من الاعتراض على القدر، فعلى الإنسان أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى لا يصدر منه إلا الخير. لكن هذا الخير تارة يكون لذاته، أو هذا المقدور المقضي تارة يكون لذاته كإرسال الرسل وإنزال الكتب، وخلق محمد صلى الله عليه وسلم، ووجود الإيمان والخير والخصب والوفر

والنماء إلى غير ذلك. وتارة يكون لا لذاته، ولكن لما يترتب عليه كخلق إبليس، ووجود الكفار والمعاصي والشهوات وغير ذلك.

فلولا هذه الأشياء المستكرهة، ما تمايز المؤمنون من الكفار، ولا الأبرار من الفجار، ولا قام سوق الجنة والنار، ولا وُجد الجهاد في سبيل الله، ولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا وُجدت التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى؛ بل لما ظهرت آثار أسماء الله الحسنى، أسماء الجلال والجمال والعظمة والرحمة والرأفة. كل هذه ما كانت لتتم إلا بهذه المقدورات.

خذوا مثالاً: المرض، المرض من حيث هو مقدور ومقضي شر، لكن من حيث صدوره عن الله عز وجل هو خير. ألم ترى أن المرض يحل بالمرء، فيوجب له انكساراً وافتقاراً إلى الله عز وجل، واطراحاً بين يديه، وندماً على ما كان منه. يوجب تكفير السيئات، ورفعة الدرجات، وزكاة النفس، كل هذه المصالح حصلت من هذا الشيء المستكره، الذي هو بحد ذاته شر. لكن ما يترتب عليه من الخير، لا يحيط به عبارة.

فلابد للإنسان أن يدرك هذا، ولهذا جاء في صحيح مسلم وضعها أيها المؤمن بين عينيك ((**لا يقضي الله على المؤمن قضاء إلا كان خيراً له**)) لا يقضي الله على المؤمن قضاء إلا كان خيرا له. فالمؤمن إذا نظر بهذه النظرة الرائقة لقضاء الله عز وجل، وكلما وقع عليه شيء قال: عسى أن يكون خيراً، لله الحكمة البالغة. فإن أمره سيؤول إلى خير إن في الدنيا أو في الآخرة. فهو في الدنيا قد يكون مدعاة لصلاح نفسه، وتكفير سيئاته، وزكاة قلبه، وفي الآخرة يرفعه الله تعالى به درجات كما قال في الحديث: ((**لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على وجه الأرض وليس عليه خطيئة**)) حتى يمشي على وجه الأرض وليس عليه خطيئة، فيكفر الله به السيئات ويوافي الله عز وجل وقد طُهر ونُقي.

فهذا مما ينبغي أن ينظر به المؤمن. قال نبينا صلى الله عليه وسلم: ((**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**)) عجب هذا من العجب، تجد المؤمن في كل ما يقضي الله عز وجل عليه، مآله إلى خير بإحسانه الظن بربه سبحانه وتعالى. فلابد من استصحاب هذا المعنى حتى يقع المقصود، لا يقضي الله على المؤمن قضاءً إلا كان خيرا له، وعرفنا الآن الفرق بين القدر والمقدور، والقضاء والمقضي وأن الانقسام إلى خير وشر إنما يكون في المقدور وفي المقضي. أما القدر والقضاء، فهو من حيث صدوره عن الرب خير كله كما قال: ((**والشر ليس إليك**)).

ولهذا تأملوا في أدب مؤمني الجن مع ربهم عز وجل ماذا قالوا؟ قالوا{وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا } [الجن: ١٠] فلما أضافوا الفعل إلى الله بالفعل الصريح المضاف المسند إلى فاعله قالوا: {

أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا } ولما أرادوا ذكر الشر، أتوا بالفعل المبني للمجهول الذي لم يسمى فاعله{ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ} وهذا من كمال أدبهم مع الله تعالى.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.